محاضرا الأسلوبية وتحليل الخطاب

المحاضرة الثالثة:

الأهداف العامة:

تهدف هذه المحاضرة إلى :

ـــ تعريف الطالب بالاتجاهات الأسلوبية وآليات التحليل الأسلوبي

الأسئلة والإشكالية :

ـــ ما هي أهم المدارس الأسلوبية ؟

ـــــ ما هي آليات التحليل الأسلوبي ؟

-الاتجاهات الأسلوبية أو الأسلوبيات

إن الحديث عن علم الأسلوب ومراحل نشأته وتشكله وتعدد الأعلام والمدارس التي ساهمت في إرساء مبادئه وإجراءاته يقود بالبحث إلى محاولة رصد هذه الآراء والجهود تحت تيارات محددة تشترك كلها في بعض الخصائص النوعية التي تؤهلها للانتضام في خانة التيار أو المدرسة ، وإذا شئنا تقسيم علم الأسلوب إلى اتجاهات أو تيارات يجب اختيار المعيار الأنسب لهذا التقسيم إما مدرسي بالحديث عن المدرسة الفرنسية والألمانية أو الروسية والأنجلوأمريكية ، إلا أن هذا التقسيم إقليمي قد يعكس تضارب آراء المدرسة الواحدة كالاختلاف بين آراء بالي وريفاتير من نفس المدرسة الفرنسية ، أو التقسيم حسب مراحل التطور الذي عرفه علم الأسلوب من بالي إلى غاية جهود رولان بارت وما رافق ذلك من تراكم معرفي يمكن فرزه وتبويبه ، وكذلك التقسيم حسب الأعلام بحصر كل جهود عالم ونسبتها إليه ، إلا أن التقسيم الأقرب إلى المنطقية هو التقسيم الموضوعي الذي قد يشمل باقي التصنيفات رغم أنه ينسجم تحت اسم واحد وموضوع معين اختصت به هذه الأسلوبية دون تلك ، كالحديث عن الأسلوبية التعبيرية في مقابل التكوينية أو الإحصائية ، ورغم تعدد التصنيفات إلى أكثر مما ذكرناه من قبل إلا أننا سنحاول الاقتصار على تصنيف بيار جيرو1 وذلك في الأسلوبيات التالية:

الأسلوبية التعبيرية أو الوصفية

إن الفكرة التي انطلق منها بالي على غرار أستاذه ديسوسير هي محاولة صياغة علم لأنماط التعبير وأشكاله وفق صورة وصفية وعلمية يمكنها احتواء الممارسة التعبيرية وفق أسس كلية ومرجعية تعود إليها ، فإذا كان التعبير فعل يعبر عن الفكر بواسطة اللغة حيث تتألف اللغة من زمن ومن وحدات وبنى وكلمات يمكن أن تشمل مجموعة من الأشكال والأنماط التي هي أدوات للتعبير وضروب منه.

---

1 - ينظر : بيار جيرو : الأسلوبية ، تر: منذر عياشي ، حلب ، سوريا ، دار الإنماء الحضاري ، ط02 ، 1994 ، من ص 49 إلى 136.

لذلك يقترح شارل بالي دراسة وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية ، ومن هنا يصبح المضمون الوجداني هو موضوع أسلوبية التعبير عند بالي التي تعكس الحالة الوجدانية في ظرف من الظروف المقامية للغة وليس للكلام ، للتعبير اليومي وليس للأدب ، لذلك تعد أسلوبية بالي امتدادا للبلاغة رغم أنها ترتدي لباس اللسانيات الحديثة في استنباط خصائص المجموعة الاجتماعية الواحدة وأنماطها التعبيرية والعاطفية ، بعيدا عن القيم التعليمية والجمالية ، لذلك حصر بالي دائرة البحث الأسلوبي في صورة تجريدية ووصفية كان لها أثر كبير على الدراسات الأسلوبية فيما بعد ، إلا أن هذا التحديد من قبل بالي قد أهمل الظروف الممتازة التي يستطيع الفرد إبداع أنماط جديدة من التعبير بعيدا عن القواعد الجاهزة التي تسحب إليها كل عمل فردي فذ وتضعه في خانة القاعدة العامة ، ومن هنا تجاوز الأسلوبيون بعد بالي دائرة التعبير اليومي إلى التعبير الأدبي والإبداعي الذي تتجلى فيه الخصائص الأسلوبية بشكل جلي وممتاز.2

وقد انقسمت أسلوبية بالي إلى أنواع وفروع كالتعبيرية الصوتية التي تهتم بالنبر والتنغيم وعلاقتهما بالموقف والمقام ، والأسلوبية التعبيرية الصرفية التي تركز على مورفلوجيا الكلمة وبنيتها في لحظة الأداء والتعبير ، وأيضا التعبيرية النحوية التي تهتم بالتركيب والجمل والزمن وأثرهم االوجداني والعاطفي ، ودلالة التعبير التي تعنى بالألفاظ وآثارها المعنوية وتعدد مجالاتها في إطار التعبير اليومي.

الأسلوبية التكوينية أو أسلوبية الفرد

إذا كانت أسلوبية التعبير كما صممها بالي وخلفاؤه هي استخدام القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستخدمها التفكير ليعبر عن نفسه ، ومن هنا ركز بالي على التعبير وأهمل الكاتب ، لذلك سيكون الاهتمام الأسلوبي بالفرد فيما بعد نذيرا بظهور التكوينية كاتجاه آخر يعمق مجال البحث الأسلوبي ليشمل الكاتب والفرد وليس الكلام باعتباره أداء فرديا ولكن في مقابل اللغة العامة التي يخلق منها الكاتب أسلوبا خاصا ، يعد ليو اسبيتزر أحد أبرز أعلام هذه المدرسة حيث ألغى التمييز التقليدي بين اللغة والأدب في البحث الأسلوبي وعمق أبحاث أستاذه كارل فوسلر لتشمل اللسانيات وتاريخ الأدب ، ومن هنا أصبح العمل الفني الواقعي نقطة انطلاق بالنسبة لاسبتزر ليس في الوجهات الخارجية عن العمل الفني ولكن في مضمون العمل وفرادته ، ذلك أن كل عمل هو وحدة كاملة تشكل فكر المبدع عن طريق مبدأ التلاحم الداخلي له ويلعب الحدس دورا هاما في إدراك مبدأ هذا التلاحم الذي يتجلى في الانزياحات والانحرافات التي تعكس نمطا مطردا مشكلا للأسلوب ، وربما هذه بعض الأسباب التي دعت إلى تسمية أسلوبية اسبيتزر بالنقدية و الأسلوبية الجديدة ، على غرار

2 - ينظر : بيار جيرو: الأسلوبية ، ص139.

الأسلوبية المثالية التي هي في بعض مناحيها نقد للسانيات سوسير وتعريض بمنهجها الوصفي والوضعي3 .

وهناك في المقابل الجانب النفسي وحتى الاجتماعي الفردي الذي يرى في الأسلوب منتج لشخصية الفرد تزعمه هنري موييه حيث يرى بأن الأسلوب يعبر عن رؤية خاصة للعالم وهذا ما يدفعنا إلى تصور نموذج للأساليب دال على العلامات النفسية التي ولدتها كمضمون لساني لأشكال التعبير ، وربما تعد أعمال ياكبسون أهم مثال في جدارة تطبيق المفاهيم السابقة على مفهوم الكناية والاستعارة في الإبداع الشعري من أجل بناء نموذج تكويني للأساليب لا يغفل مفاهيم علم النفس ولا المعايير الاجتماعية.

الأسلوبية الإحصائية

إذا كان الأسلوب يقوم على محوري الاختيار والتوزيع فذلك يعني أنه يستعمل احتمالات مختلفة يستثمرها من تعدد الإمكانات المتاحة في اللغة ، وإن هذا الاختيار لا يعدم أنه يقوم على خاصية إحصائية يلجأ إليها الكاتب تبين جنوحه إلى بعض الأساليب دون غيرها واختياره لبعض الألفاظ أو الحروف دون الأخرى ، ولابد أن الإحصاء وسيلة علمية ومنهجية تنتمي إلى محاولة إرساء بعض الملامح الموضوعية والمعقولية على الدراسة الأسلوبية ، وقد استخدم الإحصاء في أول الأمر من أجل محاولة حصر الأساليب العامة وتصنيفها في اللغة ثم أصبح يستعمل في كشف الخصائص المميزة في أسلوب الفرد وبين الخصائص العامة والخصائص الفردية قدم هذا المنهج نتائج مهمة أفادت الباحثين في المجال اللغوي والأسلوبي.

وفي هذا الإطار تعد معادلة بوزيمان4 أهم إجراء إحصائي أسلوبي حاول رصد الخصائص المميزة للغة عن طريق خاصيتي الإحصاء والوصف ، حيث طبق هذا الإجراء على الأدب الألماني واستنتج ارتفاع نسبة الأفعال على الصفات في قصص الأطفال ، كما لاحظ أن كلام الرجل شديد الانفعال يتميز بزيادة عدد الأفعال على الصفات وهي نفس الخاصية التي لا حظها في النص الأدبي على خلاف النصوص الأخرى .

لابد وأن لهذا الإجراء أهميته في الملاحظة والاستنتاج خاصة باستعمال بعض المعادلات الرياضية التي تعطي نتائج دقيقة يمكن تقييم العمل الأسلوبي من خلالها ، ولا شك أن نسبة زيادة الأفعال في نص على حساب الأسماء مثلا قد تدل على الحركة والدينامية وعلى التوتر والاضطراب بخلاف كثرة الأسماء التي تشير إلى الثبات والركون ، وكذلك كثرة الحروف التي تتخلل الكلمات والجمل تدل على الاستطراد والاسترسال أو السرد ، ولابد أن هذه

3 - ينظر : محمد كريم الكواز:علم الأسلوب ، ص102.
4 - محمد كريم الكواز:علم الأسلوب ، ص106.

الملامح لم تكن لتخفى على الدرس البلاغي العربي وعناية القدماء بدلالاتها وآثارها على المعنى رغم أنها اتخذت طابعا منهجيا وإجرائيا حديثا .

لا يمكن إغفال المناحي المهمة للإحصاء في بعض المواطن ، لكن إخضاع العمل الأدبي لمبادئ رياضية وعددية قد يذهب بالقيمة الجمالية والمعنوية التي ينطوي عليها فليس النص الأدبي مجرد حروف وكلمات يمكن ربطها وإحصائها بقدر ما هو ملكة فنية وإنسانية تقتضي الفهم والتأويل أكثر من التجريد والتنميط الذي يذهب بجوهر العمل الفني والإبداعي .

الأسلوبية الوظيفية

لقد كانت من أهم عناصر البلاغة جانبها الوظيفي لذلك حاولت الأسلوبية الالتفات إلى الجانب الوظيفي والتواصلي استمدادا من التراث اللساني والبنيوي ولا جرم أن أسلوبية بالي تركيز مباشر على الجاني الوظيفي للتعبير في صيغته الوجدانية في مقابل التفكير في صورته المجردة ، وليست نظرية ياكبسون التواصلية إلا إسهاما ممتازا في الجانب الوظيفي للأسلوب ، فإذا كان بالي يركز أساسا على الوظيفة الانفعالية للغة فإن ياكبسون يقسمها إلى عدة وظائف ، ويرى بأن الجانب الأسلوبي يتجلى أساسا في الوظيفة الانفعالية والمرجعية فضلا عن الوظيفة الشعرية عن طريق تمييزه بين ثلاث أساليب أساسية : مباشر وغير مباشر وأسلوب حر ، ويضيف بارت تمييزا آخر يعده مهما جدا في الجانب الوظيفي وهو تمييزه بين الأسلوب والكتابة حيث قسم الكتابة إلى ثلاث أشكال :الكتابة إشارة، الكتابة قيمة، الكتابة التزام لذلك ظهرت كتابات طبقية وأخرى خاصة بفئة اجتماعية أو أديولوجية ، ومن هنا تصبح الكتابة ملازمة للغة وكل تعبير يستلزم قصدا وحكما واختيارا لأنها لا تستطيع أن تنعكس إلا في مجموعة من الاختيارات حيث يغدو الأسلوب عند بارت ذو طبيعة لسانية بينما الكتابة ذات خاصية فردية وأدبية5.

الأسلوبية البنيوية

لابد أن نجاح اللسانيات المعاصرة وطبيعتها الوصفية قد ألقت بظلالها على الدرس الأسلوبي الذي وجد في مفهوم البنية معيارا ممتازا لدراسة الأسلوب وفق منطق علمي ووضعي يسبغ المعقولية على قضايا الأسلوب وأبعاده لذلك أصبحت القواعد الكلية للتعبير التي تساهم أجزاؤها في بناء الأسلوب على نحو علائقي واستبدالي لا ينظر إلى الجزء منها بمعزل عن الكل ولا يعتبر الكل إلا مجموعة من الأجزاء التي تشكل بنية قائمة بذاتها لا يمكن أن تدرك إلا وفق منطقها الداخلي ولا يمكن التماسها خارجها ، ومن هنا درس ياكبسون الوظيفة

5 - ينظر : بيير جيرو : الأسلوبية ، ص145.

الشعرية للرسالة من منطلق بنية الرسالة وكينونتها ويظهر ذلك جليا في دراسة ياكبسون لقصيدة القطط لشارل بودلير الذي فتح بها مجال التحليل النصي والبنيوي .

ويعد ميشال ريفاتير أحد أهم البنيويين الذين جعلوا من التحليل البنيوي للرسالة هدفا لتمييز النصوص عن بعضها حيث يشكل كل نص بنية خاصة عن غيره ، فالأسلوب بالنسبة إلى ريفاتير أثر ينتج عن شكل الرسالة لأنه يقوم على سلسلة مضاعفة من الطرق التي ينشأ بعضها عن توافق أو تناقض لأن الأسلوب أثر يحدد المضمون الإخباري للرسالة6 .

6-آليات التحليل الأسلوبي:

أضحى للأسلوبيات التطبيقية مكانة كبيرة في الساحة النقدية العربية منذ دراسة محمد الهادي الطرابلسي حول الأسلوب في الشوقيات، كما أصبحت آليات علم الأسلوب الحديثة تستنطق النص العربي القديم والحديث على حد سواء كما تغازل النص الشعري والسردي رغم اختلاف طبيعة النصوص ذات الموضوع الأسلوبي، وإذا كانت الأسلوبية في شقها النظري بعيدة الأغوار ومتفرعة المباحث ومتعددة الاتجاهات إلا أنها في الشق التطبيقي تختزل هذا الامتداد النظري في مجموعة من الإجراءات العملية التي تؤتي أكلها مباشرة إذا ما وضعت تحت مسبار النقد في تعاملها مع النصوص مهما تنوعت هذه النصوص إذ أن الهدف واحد وهو استكناه القيم الأسلوبية المبطنة في النصوص الأدبية، ويتضح البحث الأسلوبي من خلال رصد بعض المظاهر البارزة في النص الأدبي والتي يمكن من خلالها كشف الحجب عن الأسلوب.

والمظاهر الأسلوبية متعددة ومتنوعة بين يدي الباحث الأسلوبي حيث يرجع هذا الأخير النص إلى بنيته التكوينية عبر وضعه تحت مجهر المستويات اللغوية الأولى ثم البحث عن مناطق التوتر الأسلوبي عن طريق بعض المفاهيم الإجرائية التالية:

- **الانزياح** :

تهتم أسلوبية الانزياح بمختلف الانحرافات المعيارية التي تعد موضوعا ممتازا للباحث الأسلوبي من خلال رصد الخروقات اللغوية وتمييزها بحسب تمظهرها داخل النص الأدبي ودرجة تأثيرها ويمكن حصر هذه الانحرافات فيما يلي:

ـ رصد أحد ملامح الانزياح وتتبع درجة انتشاره في النص إحصائيا .

ـ من خلال علاقتها بالنظام العام للغة كأن تكون سلبية أو ايجابية .

ـ العلاقة بين القاعدة والنص كتضمين القصة في الشعر أو العكس .

ـ حسب المستوى اللغوي الذي تعتمد عليه: صوتية نحوية معجمية دلالية ..

ـ عدولات استبدالية وعدولات ركنية .

. حدود المجاز والاستعارات وفرادة توظيفها.

---

6 - المرجع نفسه ، ص147.

- **المفارقة :**

تعني المفارقة كل تقابل للمعنى الخفي مع المعنى الظاهر على سبيل التعارض سواء في السياق أو الموقف وهو ما يخلق توترا دلاليا بين الألفاظ مما يثري النص ويفتح حدود الدلالة على التعدد والعمق.

- **التكرار:**

يعد التكرار أهم المظاهر الأسلوبية الممتازة التي تستهوي الباحثين والكتاب على السواء باعتباره أداة فعالة يمكن من خلالها شحن النص الأدبي بطاقة أسلوبية تنتج نفسها في كل مرة، والتكرار يتعلق بالحروف كما يتعلق بالألفاظ والعبارات ويظهر أيضا بتكرار الصيغ وبعض المظاهر اللغوية..

- **التقابل :**

إذا كان النص هو عبارة عن مجموعة من العلاقات المعقدة التي تشكل الارتباط والانسجام فإن عرض هذه العلاقات ومقابلتها يجعل من السهل تبيان القيمة الأسلوبية المعبرة عنها، والتقابل قد يكون إزاء الحروف كحرف السين وحرف الصاد، أو السين والشين من نفس الصفة أو بين كلمات وعبارات...

- **التضاد:**

يلعب التضاد نفس دور التقابل رغم أنه يركز على التناقض والاختلاف أكثر من التعدد ، وللتضاد دور أسلوبي مهم يساهم في تكثيف المعنى وتعميقه من خلال اختباره عند حدوده القسوى المشكلة في تقابل الضدين ودورهما في بناء المعنى وتشعيبه.

- **التشاكل :**

وهو تراكم مستوى معين من مستويات الخطاب على المجال التركيبي وقد يكون التشاكل جزئي أو كلي حرفي أو لفظي مثل: هلوعا جزوعا ، مهل عهن...

- **التوازي:**

وهو مصطلح بلاغي يدل على تقابل جملتين أو أكثر يجمع بينهما الكثير من التشابه كالآيات السبع الأولى من سورة التكوير.

- **التقديم/ التأخير:**

يدخل التقديم والتأخير ضمن المستوى التركيبي ليعبر عن خرق لعرف الجملة العربية كالابتداء بالخبر وتأخير المبتدأ بالنسبة للجملة الاسمية، والابتداء بالفعل أو المفعول به في الجملة الفعلية وتأخير الفعل وذلك لغرض أسلوبي .

الصراع أو التوتر التركيبي المتجلي في: الخبر/ الإنشاء الحضور/ الغياب . الإثبات/ النفي ، الأمر/ النهي.